و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

# مفاتيح الهداية

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤/ ٨/ ١٤٤٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

**أما بعد**

فهل مرت فيك لحظات شعرت فيها أنك تململت من حياتك؟

وأنك ترفض الواقع الذي تعيش فيه؟

وأنك تريد أن تتغير فلا تستطيع؟

وهل تشعر أحيانًا أنك ترى النور لكنك لا تستطيع الوصول إليه، وكأنه يحول دونك ودون هذا النور حائل؟

وهل عرفت يومًا ما هو الصواب وما هو الحق ثم لم تستطع أن تكون من أصحابه ومن أهله؟

وفي المقابل أخذت الطريق الخطأ وأنت تعرف أنه هو الخطأ؟

فهل مرت فيكم هذه الحالات؟

عندما تعيش واقع لا ترضاه ولا يعجبك ولا يشبهك ولكنك لا تستطيع الخروج منه.

**هذا الذي نتحدث عنه، شيء مختلف عن فكرة (أنك تعلم فقط أين الطريق وأين الصواب).**

فأحيانًا يكون كما قال ابن القيم: **يعرف الإنسان الحق ويعرف الصواب لكنه لا يرزق العزيمة على العمل به ولو رُزِق العزيمة فلا يرزق الإرادة، ولو رُزقهما فلا يرزق العمل نفسه، ولو رُزق العمل لم يرزق الثبات عليه**.

فالإنسان ضعيف يحتاج إلى معونة الله سبحانه في كل لحظة من هذه اللحظات.

ولحلّ هذا الواقع نحتاج أولًا أن نعلم الصواب ونعرف الطريق، وبعد ذلك تأتي خطوة ثانية سنحكي عنها هذه الليلة وهي تأتي بعد معرفة أين الصواب.

هذا الإنسان الذي هو أنا وأنت كائن عجيب، ليس بالضرورة إذا عرف الحق اتبعه، وليس أيضًا بالضرورة إذا عرف أن هذا الشيء يضره فإنه يتركه.

ولذلك تأملوا المدخنين يعرفون أن هذا الشيء يضر، والعلب نفسها مكتوب عليها تحذير بالإصابة بالسرطان وأمراض القلب والوفاة، ومع ذلك يأخذه الإنسان لأن هذا هواه ولأنه يحبه.

هذا مثال لشيء عيني ومادي نراه ومع ذلك الإنسان يفعل ما يضره وهو يعلم أنه يسير في طريق فيه هلاكه.

إذًا فكيف بالأشياء الأخرى التي لا نراها؟ صحيح أن هذا الإنسان الكائن العجيب أعطاه الله عز وجل العقل ليميز فيه بين الصالح والطالح وبين الصواب وبين الخطأ، إلا أنه أعطي مع العقل الإرادة التي أحيانًا تكون إرادة صحيحة وقد تكون إرادة فاسدة .

من هذا التصور المبدئي سندخل في هذا المعنى العميق:

فما الذي يحول دون الإنسان؟ كيف لإنسان في قواه العقلية يعرف أن هذا هو الحق وأن هذا الشيء هو الذي

ينفعني وأن هذا الشيء هو الذي سيصلح أمري في الدنيا وفي الآخرة ومع ذلك لا يفعله، وأن الشيء الذي أفعله الآن وطريقة حياتي التي أنا أعيش فيها ستضرني عاجلًا وآجلًا وكأنه جالس في هذه الحياة ينتظر العقاب، ويعلم أنه لو مات سيعذب عليه! ما الذي يجعل الإنسان يحيا هذه الحياة؟

كان من دعاء السلف رحمهم الله: (اللهم أرني الحق حقًّا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه) وكما في حديث علي -رضي الله عنه- قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :" قل اللهم اهدني و سددني ..." أخرجه مسلم في صحيحه.

والرزق هنا هو هذه المعرفة أن تعرف الحق وتعرف الباطل، كثير من الناس لديهم المعلومات، وبإمكانهم إعطاؤك معلومات أحسن من التي عندك، لكن ليست قضية المعرفة، إنما هي هل تحول هذا العلم إلى عمل مطبق في واقع وحياة أم لا؟

ولذلك فاليوم سنتحدث عما يحول بين الإنسان وبين أن يفعل هذا الصواب؟

باختصار هناك مفاتيح وهناك مغاليق، والذي سنتحدث عنه في هذه الليلة هو ما الذي يجعل الإنسان يهدى إلى الطريق الصحيح ويستنير قلبه للنور، وما الذي يجعله أحيانًا يغلق دونه ودون هذا النور ويغلق دونه ودون هذه الهداية؟

حديثنا اليوم عن عشرة مفاتيح، يمكننا أن نسميها مفاتيح الهداية أو مفاتيح التوفيق، وهذه المفاتيح إذا تخلفت في الإنسان تخلف الهدى عنه وتخلف النور عنه.

## أول مفتاح من هذه المفاتيح :

**هو أن تتخلص أساسًا من موانع الهداية**، فقد يكون في حياتك ما يمنع الهدى من أن يصل إليك، وموانع الهداية تختلف من شخص لآخر، وإليكم مثالين لذلك:

المثال الأول من موانع الهداية: أن يكون الإنسان في قلبه كبر، وكلمة الكبر كثير منا يظن أنه بعيد عنه، الكبر أنك ترى الحق ثم تأنف أن تكون من أهله، معنى كلمة تأنف كأنه تقول لا ما أحب أكون مثل طريقتهم وشكلهم ما أشعر أنه يناسبني ولا يناسب شخصيتي.

شعورك هذا بأنه ما يناسبك لأنك من مستوى عائلة معين، أو أنك من طبقة معينة، هذا ليس له علاقة بالذوق ولا بالشخصية بل هذا من الكبر.

فالكبر هو شعورك أنك أكبر من فعلك لهذا الشيء، وأن الذي يفعله هم الضعاف من الناس!

قال الله عز وجل: **{**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ **}**(85) سورة البقرة.

كانوا بني إسرائيل يأخذون من الدين ما يعجبهم ويتركون ما لا يعجبهم، وقد تكررت هذه الصفة كثيرًا عنهم في القرآن، وفائدة تكرارها تحذير لنا ألا نكون مثلهم: نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض.

وما الدليل على أن الناس الذين فيهم كبر يمنعون من الهداية ؟

قال تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ }(146)سورة الأعراف.

**فتأملوا** يعني مع سبق الإصرار والترصد يرى سبيل الرشد فلا يتخذه سبيلًا ويرى سبيل الغي يعلم أن هذا السبيل سيهلكه فيتخذه سبيلًا. لماذا؟

لأن الكبر واحد من موانع الهداية، ونحن نحتاج لأن ننظر بعمق إلى ما في داخل قلوبنا ونتلمسه، فقد تقولين: أنا طيبة وأحب الخير وقلبي بريء، ولكن لو سألتك ما الذي يمنعك تلبسين عباءة ساترة أو تغطين وجهك، ستجدين أن الجواب يكمن في أنك تشعرين أنه شكلك سيبدو "قروي" وأن هناك في شعور بداخلك لا يحب هذا الأمر، هذا الشعور يعد كبرًا، فمن الكبر أنك تمتنعين عن شيء من أوامر الله لأنك تشعرين أنه لا يناسب شخصيتك!

<u>المثال الثاني</u> ولا زلنا في المفتاح الأول وهو: التخلص من موانع الهداية

المانع هو: كثرة الذنوب والمعاصي

فالذنوب لما تتراكم على القلب تحول دونه ودون الهدى، قد يشعر الإنسان بأنه على خير تقول الواحدة منا أنا ما أسمع أغاني، أنا أغطى وجهي، أنا أحضر دروس، ولكن هناك أمور أخرى قد نتهاون فيها وهي كبيرة عند الله، هناك فلتات لسان، وهناك نظرة لحرام وهناك أشياء ما حسبت لها حساب، وهذه أمور إذا تراكمت صارت حاجب دون الهداية، قال تعالى: {كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين 14]

والران هو التراكم، الحجب المتراكمة على القلب.

هذه الذنوب، يقول أحد العلماء: "**أصبح على قلبهم من الحجب والحواجز ما لا يستطيعون معه حسن الإبصار**"

استوعبتم؟ صارت الذنوب على قلوبهم ما لا يستطيعون معها حسن الإبصار، يسمع ويعرف أن هذا هو الحق، لكن لا يستطيع تمييز الطريق الصحيح، فكثرة الذنوب مثل الرمد على العين يجعلها لا ترى الصورة الصحيحة، كذلك هو القلب، تصبح عليه الأغلفة فلا يبصر طريق الحق ولا يبصر طريق الهداية، فإذا لم يبصره ما استطاع أن يكون من أهله.

ولذلك ابن تيمية -رحمه الله- كان إذا أشكلت عليه المسألة يجلس في موطن واحد ويستغفر الله 100 مرة 200 مرة إلى أن يفتح الله عليه، وفي رواية أخرى أنه كان يذهب إلى المساجد ويخرج إلى الصحراء ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم يا معلم إبراهيم -ويمرغ وجهه في التراب- علمني ويا مفهم سليمان فهمني"، وكان إذا استغلق عليه شيء معين بالدين -وهو شيخ الإسلام ابن تيمية مؤلف الكتب- مع ذلك يشعر أن هذا الاستغلاق بسبب ذنب هو أذنبه فيجلس يستغفر ويستغفر إلى أن يُفتح عليه، ويسجد في الأرض ويدعو الله عز وجل أن يعلمه وأن يفهمه ذلك.

وللشافعي أيضا أبيات شهيرة، يقول فيها:

شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال لي إن العلم نورٌ *** ونور الله لا يُهدى لعاصي

إذا كثرت الذنوب والمعاصي، لا تستسلمي لوجود هذا الكم الهائل من الذنوب في حياتك، في ذنوب تستطيعين

العيش بدونها، فالذنب الذي تستطيعين تركه اتركيه، اجعلي معاركك مع تلك الذنوب الثقيلة التي تحتاج إلى مجاهدة منك، شيء تستطيعين تغييره في يومك غيريه، القرار الذي يمكنك اتخاذه، اتخذيه بلا تأخير، ما الذي تنتظرينه؟

هناك ناس متعايشة مع كثرة هذه الذنوب والمعاصي في حياتها، تقول لك طبيعي يكون يومي كذا، لا من قال لك؟ من فرض عليك؟ من دخلها في مخك إن يومك لو ما كان بهذا الشكل لن تُسعدي! لا، قد تكونين لم تقتربي من دائرة السعادة أصلًا؛ لأنك في دائرة: { بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة 81]

سمّاها الله "إحاطة" أحاطت به خطيئته فلا يتنفس إلا هي ويظن أن الحياة هنا، ولو جاوز نفسه بخطوة واحده فقط، لعلم أن الحياة فسيحة وأوسع وأجمل.

**هذا هو المفتاح الأول من المفاتيح، وهو أن تتخلص من موانع الهداية، لاحظوا ذكرنا مثالين فقط، الكبر وكثرة الذنوب والمعاصي**، قد يكون في حياتك  شيء آخر، قد يكون عندك مانع من موانع الهداية أنت شخصيًا تعرف أن هذا هو الذي يحول دونك ودون الله، ولابد أن تضع عليه دائرة ويكون هو شغلك الشاغل.

## المفتاح الثاني من مفاتيح الهداية:

وهذا المفتاح هو عمل من يقم به ويواظب عليه ويحرص عليه فإنه يكون أهلاً لاستجلاب هدى الله عز وجل- ما هذا العمل؟

**هو الإنابة.**

والإنابة ليست التوبة -إذا جاء في بالك الآن أن الإنابة هي التوبة، فالإنابة ليست التوبة- والإنابة لو خُيّر إنسان عاقل واعٍ فاهم للدنيا فهمًا صحيحًا بين أن يكون عنده كل ثروات الدنيا والمجد والشهرة والمنصب وأن الله عز وجل يرزقه هذا العمل الذي هو الإنابة، فتكون موجودة في حياته لاختار هذه ولم يتردد، لو أنه كان عاقل واعيًا لهذه الدنيا، ولكن ربما تمرّ على أغلبنا هذه الكلمة بدون أن تحرك في داخله شيء.

<u>دعونا أولًا نتعرف: ما هي الإنابة؟</u>

الإنابة هي: الرجوع، يعني الإدبار، وربما يحسبها الكثير أن الإنابة هي الإقبال، والصحيح هي الرجوع، فمعنى كلمة الرجوع أنه كان موجود ثم ذهب ورجع، ففكرة المنيب الإنسان الأوّاب هو الإنسان الذي يكون محور ارتكازه في الحياة هو الله عز وجل فمهما ابتعد رجع، مهما ابتعد رجع،

طيب هل هذه هي التوبة؟ لا، التوبة هي رجوعه من الذنب لكن الإنابة ليست الرجوع من الذنب فقط، تلتقي التوبة والإنابة بأنهما كلاهما رجوع من الذنب، لكن الإنابة مفهوم أوسع، فمتى يرجع الإنسان إلى ربه؟ يرجع في اللحظات التي يشعر فيها بالوحشة من غير ذنب ارتكبه، يا ربي لم أذنب ولم أعصك، أمارس جدولي

نفسه فأقوم الليل وأصوم وأذكر الله، أذكاري محافظ عليها أورادي قرأتها، ويشعر الإنسان أن ثمة وحشة بينه وبين الله، يفعل كل شيء لكن قلبه غير موجود، لذاذة الإيمان وحلوّ المناجاة غير موجودة، يحس بوحشة وغربة ولم يعد يشعر بالشعور القديم حين يناجي الله في الدعاء، أو في السجود.

هذا الشعور هو ابتلاء من الله، ممكن يصيبك فيه من غير سبب، ربما أن الله جل جلاله يمتحن إيمانك ليرى هل ستعيش من غير رجوع إلى الله أم لا؟ والإنسان المنيب نجده طوال الوقت راجع إلى الله يتضرع إليه، يا ربي كان لي قلب أعيش به، ربِّي ضاع مني في تقلبه ربيِّ فرُدّه إليّ حتى أعبدك به، لا أستطيع أن أعيش من غير الدعاء لك، من غير ما أشعر إنك أنت قريب مني وأنا قريبة منك، فهذا الإنسان تراه كل ما ابتعد رجع إلى الله عز وجل.

في أناس آخرين يكونون هذا العبد المنيب في اللحظات التي هي في قمة الانشغال والازدحام حتى لو كان يمر بظرف دنيوي، ومع ذلك هم في وسط الازدحام يشعرون بقلق وأنه يحتاج لربه وأنه يلجأ إليه في عزّ هذا الانشغال، أحتاج أني أصلي الآن ركعتين، أحتاج أني أخرج صدقة أو أعمل خير لأني محتاجة أكون قريبة من ربي، فهذه فكرة الإنابة أن يشغل تفكيرك طوال الوقت ويكون محور ارتكازك هو الله سبحانه، فحتى لو صارت عندك قائمة من الانشغالات وظيفة جديدة، حياة جديدة، زواج، انتقال لبيت جديد، يكون قلبك ما يهدأ إلى أن يرجع لربه، ففيه شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، ولذلك هذه الإنابة هي من أول مفاتيح الهداية، أن يكون لك هذا القلب الرجاع إلى الله عز وجل لا يستطيع أن يبتعد عن الله عز وجل طرفة عين.

من أين جئنا بهذا الدليل؟

قال الله تعالى:{ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}(الرعد:٢٧).
وقال الله تعالى: {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}(الشورى:١٣).
أحيانًا هذا الإنسان لا يكون منغمسًا في ذنب ولا في معصية لكنه منغمس في مباح. ولكن بعض القلوب الله عز وجل يريدها مخلصة له، فلو رآها مشغولة بالمباح وكثرته فإنه سبحانه يبتليها بهذا المباح، ليتذكر وينتبه، فتنزل وحشة في قلبه، ويشعر بعطش الروح، وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- يجلس يستغفر في المجلس الواحد مئة مرة، ومن الأحاديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» [أخرجه مسلم في صحيحه ]
هذا وهو النبي عليه الصلاة والسلام وهو القلب المنيب، الذي جلوسه كله أصلًا بين أصحابه في طاعة ودعوة، ولكنه مع ذلك يشعر أن اختلاطه مع الناس يحوجه للاستغفار، فكانوا يعدّون استغفاره في المجلس الواحد.
ولذلك أفضل الناس أعمالاً عند الله عز وجل أفضل الصائمين في شعبان، أفضل الصائمين في رمضان، أفضل الحجاج، أفضل الناس الداعين، أفضل الناس في كل شيء هم الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، لماذا؟ لأن قلوبهم معلقة بالله.

## المفتاح الثالث: هو الاعتصام بالله والتوكل عليه.

والاعتصام بالله عز وجل يختلف عن الإنابة، فالإنابة هو رجوعك إلى الله عز وجل في كل الحالات. أما الاعتصام بالله فيكون في حالات معينة من الابتلاء أو من الضر أو من الشدة تنزل فيعتصم الإنسان بالله، ليس شرط أن يكون الابتلاء بالضر وشدّة يعني مرض أو فقد، قد يكون ابتلاء بفتنة، أو بشهوة أو أبواب من الدنيا انفتحت عليك.

مثلًا عرض عليك عمل وأنت كنت في مكان بسيط وراتبك فيه ٧٠٠٠ وفجأة يأتيك عرض وظيفي بـ ٤٠ ألف مثلاً لكن مشكلته أنك ملزم بتغيير شكلك وهيئتك ومشكلته أنك ترضى بشيء من الحرام وتتنازل عن مبادئ عندك!

فكيف سيكون موقفك حينها؟ تقتنع بالسبعة آلاف؟ أو تكون شغوفًا بالعرض الآخر؟

هنا في مثل هذه المواقف يحتاج الإنسان أن يعتصم ويتوكل على الله عز وجل ليهديه إلى الصواب.

وهذا الاعتصام بالله عز وجل هو الشيء الذي يقول عنه الله عز وجل:

قال تعالى:{ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}(المؤمنون:٧٦).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}(الأنعام:٤٢).

الله عز وجل قد يأخذ بالنعماء في لحظات انفتاح الدنيا، وقد يأخذ بالضراء وهذه معروفة، وفي كلا الحالتين سواءً الدنيا انفتحت أم الدنيا ضاقت، كيف يكون قلبك دائما معتصم بالله عز وجل؟

ولاحظوا أن جميع المفاتيح إلى الآن متعلقة بالقلب، فهل هذا القلب أساسًا ينشد الهدى أم هو مشغول ولاهي!

قال تعالى:{ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}(آل عمران:١٠١).

**فالمعنى أنك تعتصم بالله وتعود قلبك على الرجوع إلى الله عز وجل والاعتصام به في لحظات الفتنة والشهوة ولحظات النعماء لما تنفتح بك الدنيا أو لحظات الضراء حينها ستجد أن الله عز وجل يهديك.**

## المفتاح الرابع: من هذه المفاتيح هو: الاستهداء بالدعاء.

تمر في حياة الإنسان فترات من الضيق والحيرة والشتات، يتمنى فيها أنه يكون أقرب إلى الله، لكن هناك موانع، هنا الإنسان يحتاج أن يستهدي بالدعاء.

تحتاج أحياناً ألا تتوكل على نفسك ولا على حولك ولا قوتك، أن تعلن ضعفك وتقول يا رب.. يا ربِ ساعدني.. يا ربِ اهديني وتعلن لله عز وجل فقرك وذلك وأنك لا تستطيع، يا ربِ إني مغلوب فانتصر، نفسي غلبتني، شيطاني غلبني، أنا لا أستطيع أن أغير ولا شيء، لا عزيمة عندي ولا إرادة لدي. تكلم إلى الله عز وجل بمنتهى الوضوح وأعلن لله ذُلّك وافتقارك وقل: يا ربِ أنا حاولت أكون أحسن فلم أقدر، أعلن لله عز وجل هذا الذل، وانتظر مفاتيح الهداية كيف تنزل عليك.

تروي لنا عائشة رضي الله عنها الذي كان يفعله النبي-عليه الصلاة والسلام-في صلاة الليل تقول: إذا كبّر يقول:"

«اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[أخرجه مسلم في صحيحه ]

إذا كان هذا دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي جاء بالحق وهو إمام المهتدين، فنحن أولى بهذا الدعاء، وحري بنا أن نبدأ به صلاتنا في استفتاحها.

ومن الأدعية التي علمنا إياها النبي-عليه الصلاة والسلام-هذا الدعاء:": «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» [أخرجه مسلم في صحيحه ]

فتخيلوا أن النبي عليه الصلاة والسلام يدعو بهذه الأمور!

لدينا أزمة حاليًا في هذا الجيل الذي نعيشه أن الناس ما تشعر بالغنى، طوال الوقت العين جوعانة، طوال الوقت العين تتطلع لما هو أعلى ولا ترضى بحياتها وواقعها والنعيم الذي هي فيه، بل النظرة كلها نحو هؤلاء الذين سافروا وهؤلاء الذين اشتروا، ففقدوا الشعور بالغنى الداخلي، وصار الشعور بالنقص ملازم لهم، بينما في السابق كنا نرى الناس البسيطين يعيشون بسعادة داخلية وشعور بالغنى.

ومن الأدعية التي علمنا إياها النبي عليه الصلاة و السلام: ( «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ) اللي هو نهايته (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي» [أخرجه ابن داود في سننه وقال الالباني صحيح ]

في هذا الدعاء تكررت مرتين لفظة الهداية (واهدِ قلبي) وأيضًا (واهديني ويسر الهدى إلي) فهذا الاستهداء في الدعاء مطلب، ومن الضروري أن نطلب الهداية من الله طوال العمر.

في سورة الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم) نقولها أكثر من 16 مرة في اليوم، وتزيد مع السنن، لماذا نكررها كثيرًا؟ لأن لا معنى للحياة لو عشت تأكل وتشرب لكنك منعت من الهداية، ما قيمتك لو لم يكن لك منزلة عند الله عزوجل وقد بلغت من العمر ما بلغت!

## المفتاح الخامس: المجاهدة

نجاهد ماذا؟ هناك من يجاهد نفسه، وهناك من يجاهد هواه، وهناك من يجاهد شيطانه، وهناك من يجاهد منصبه، وهناك من يجاهد الحرام.

كل واحد منا لديه نوع من أنواع المجاهدة التي عليه أن يجاهدها، ولو أن إنسان قال أنا أستسلم ما أستطيع أجلس طول حياتي في جهاد، فإنا نقول أن الإنسان خلق في كبد، فهذه الحياة ما خلقت لتكون نعيمًا هي خلقت حتى يختبرنا الله عز وجل فيها كيف نكون، يبتلينا أيُّنا أحسن عملًا فيبتلينا الله بالسراء و الضراء مرة

نستريح ومرة نتعب ومرة نمرض ومرة نستصح هي كلها ابتلاءات ليرانا الله عز وجل كيف نتعبده في جميع الأحوال، إذًا لابد لنا من المجاهدة، أما الإنسان الذي يقرر أنه لا يجاهد ويقول أي شيء تشتهيه نفسي أنا سأفعله، وأنا ضد فكرة منع وحرمان نفسي وأحب أني أنبسط، وهو لا يمنع نفسه هواه، فهذا يكون كالريشة في مهب الريح فلو ذهب الناس يمينًا ذهب معهم ولو ذهبوا يسارًا ذهب معهم،

إذا كانت وسط مجموعة بنات وقالوا لها "نشيّش" قامت معهم، وإذا قالوا نسافر سافرت معهم، وإذا تركوا الحجاب تركته معهم، فهو مع التيار إن صلح الناس صلح معهم، وإن فسدوا فسد معهم، فلا له شخصية ولا حتى ملامح، يظنه من يراه أنه مرتاح لأن كل ما يهواه يستطيع فعله، وفي الحقيقة أن أشقى الناس بهذه الحياه هم هؤلاء لأنه لا يرضى عن نفسه ولأنه يعرف أنه لا يستطيع مجاهدة نفسه.

**إذًا نحن في هذه الحياة نحتاج إلى الكثير من المجاهدة، ونحتاج إلى اللجوء إلى الله ليساعدنا على أنفسنا، فيقوي عزمنا.**

نحن كثيرًا ما نجاهد أنفسنا لأجل قرارات شخصية دنيوية مثل الرياضية أو الامتناع عن السكر أو الطحين والشوكولاتة والمعجنات، مع أن اتخاذ قرارات أنفع للروح متعلقة بربها سبحانه وتعالى أهم وأولى!

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }العنكبوت69

هؤلاء ليس لأنهم كانوا مهديين استطاعوا المجاهدة، لا، بل الفكرة التي أريد أن أوصلها لكم أنك لا تنتظرين أخذك لقرار التوبة وأنك تتغيرين ثم بعدها تجاهدين النفس والهوى، بل المجاهدة هي الأولى وهذه هي الطريقة التي أخبر بها سبحانه.

هناك كتاب لمسلمة أمريكية حكت قصة إسلامها فيه وعنونتها بهذه الآية (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)وحكت فيها كيف كانت تجاهد حتى تعرف الحق فبحثت وعانت مع أهلها إلى أن وصلت لطريق الهدى.

## <u>المفتاح السادس: وهو من آكد المفاتيح: الإخلاص لله</u>

أنك لا ترجو هذه الهداية من أجل الناس، ولا ترجوها أيضًا لتسعد نفسك، وتغير من نمط حياتك التي مللتها فقط، بل تكون تريد الهداية ليرضى الله عنك ولتقترب من الله، لأن الله سبحانه لو رضي عن عبده فكل شيء ثانٍ في الحياة سوف يكون أسهل، فمن وجد الله فماذا فقد؟ ومن فقد الله فماذا وجد؟ هذا المفهوم إذا استقر في ذهنك ستعرفين أني أنا لو فقدت الله في حياتي فماذا وجدت؟ من الناس الذين سيملؤون هذا الفراغ؟ وإذا وجدتِ الله عز وجل و كان هو الأهم في حياتك إذًا كل ما فقدتيه من الدنيا فهو معوض،

ولذلك الإخلاص لله عز وجل أن ترجو ما عند وجه الله عز و جل، والدليل ذكرناه مسبقًا وهو قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) وكيف تدل هذه الآية على الإخلاص؟

(والذين جاهدوا فينا) فلم يكن يجاهد لأي أحد، إنما يجاهد نفسه إرضاءً لله عز وجل ولوجه الله، ولذا كان الوعد له (لنهدينهم سبلنا).

## المفتاح السابع من هذه المفاتيح: أن تتبع سنة النبي عليه الصلاة والسلام

إذا أردت أن الله سبحانه يهديك، فابحث عن منابع الهدى، وأكبر المنابع هي سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

واحد من المشايخ كنت أشوف مقابلة له فسُئل عن أوراده اليومية، وماذا يقرأ غير القرآن؟ فقال: عندي ورد ثابت من سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

طبعًا نحن نتكلم عن ورد من السنة لأن الحديث عن وجود ورد ثابت من القرآن المفترض يكون مفروغ منه وغير قابل للتنازل.

الشيخ يقول عندي ورد ثابت للقراءة من السنة يعني عندي كتب الأئمة الستة البخاري ومسلم والبقية أقرأ منها يوميًا، فسأله المذيع يعني كم صفحة تقرأ، فقال: أنا ما أقرأ بالصفحات، أنا مخصص نصف ساعة لكتب الحديث وكل ما أنتهي من الكتب الستة أعود لها مرة أخرى، فسأله المذيع: ما تمل؟ قال: كيف أمل أنا كل مرة أتعلم علم جديد!

تأملي القرآن كل مرة لما تقرئينه كأنك تقرئين للمرة الأولى، كل مرة لها تأملاتها المختلفة، لأنك تقرئينه بقلب جديد، وهذا والله من أعظم لذائذ الدنيا التي شغلنا عنها أنفسنا.

أما الدليل على أن من يتبع سنة النبي عليه الصلاة والسلام فإنه تحصل له الهداية، هو قوله تعالى: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)}سورة البقرة

فما قال اهتدوا ثم اتبعوه، بل قال اتبعوه لعلكم تهتدون ولعل من الله واجبة.

ومن أجمل الرؤى التي رئيت في الشيخ الألباني وابن عثيمين أن بعض الناس كانوا يقولون لهما: رأينا في المنام كأن النبي عليه الصلاة والسلام يمشي وأنت تضع قدمك على قدم النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا لأن علمهم في الحديث وتصحيحه وتضعيفه والذب عن السنة.

فما أجمل أنه يكون الاهتداء بسنة النبي منهج حياة.

## المفتاح الثامن من هذه المفاتيح:

قلنا الاستهداء بسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ويأتي مع هذا **المفتاح الاستهداء بالقرآن.**

فلا نتعامل مع الوحيين بنية القراءة لنيل الأجر فقط، بل الاستهداء من النور فيهما، وهذه الفكرة من نزول القرآن، قال الله عز وجل: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}البقرة:185

**فسبب نزوله أن يهتدي به الناس، فإذا قرأناه وما اهتدت قلوبنا فهذا يعني أن المشكلة فينا، وعلينا أن نغير طريقة قراءتنا للقرآن**، ولابد أن نصلح العلاقة بيننا وبين القرآن، ومن جميل المحاضرات محاضرة التساؤل وأثره في تدبر القرآن للشيخ عبدالله العجيري، هذه تعلمك كيف تجعل القرآن يجاوب على أسئلتك وما تقرأه قراءة عادية.

يعجبني واحد كنت أتابعه طالب علم فكتب مرة كلام بمعنى كنت أسمع الناس كثير تتكلم عن جبر الخواطر وعدم جرح المشاعر وغيره، يقول فتحت القرآن أتساءل هل جاء فيه شيء عن هذا الكلام عن فكرة جبر الخواطر عن المشاعر عن حماية المشاعر أو هو فقط كلام اشتهر بين الناس؟ فهو يتعامل مع القرآن أنه فيه هدى للناس ما يمكن فيه شيء يصلح البشرية لا يكون موجود بالقرآن

يقول فتحت القرآن باغيًا البحث عن شيء بهذا القبيل ثم بدى يسرد مجموعة من الآيات التي جاءت فيها لمسات كيف أن الله جبر خواطر الصحابة مثلاً في موقف من المواقف أو معركة من المعارك أو جبر قلب نبيه من أذى وقع من المشركين أو عاتب نبيه مثل سورة (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) رغم أن الأعمى لم يرَ النبي حينما عبس لكن لاحظوا كيف جاءت العناية الإلهية من فوق سبع سماوات تربي النبي أنك ما تجرح مشاعر هذا الأعمى حتى لو لم يراك.

فهذا كان مثال لمجرد فكرة بسيطة إلى أن استشهد بالآيات وأجاب القرآن على تساؤله.

لذلك مهم أننا حين نقرأ القرآن نقرأ بروح من يبحث عن حل مشكلة في القرآن.
أحد الأخوات كان تقرأ سورة البقرة لأذى فيها وهي تقرأها بشكل يومي، تقول حين ملّت من القراءة جلست أتساءل ما الميزة في سورة البقرة؟
أتاني خاطر شيطاني .. ما الذي يميز سورة البقرة وهي كلها أحكام وتتحدث عن بني إسرائيل؟
ثم حين جلست وقرأت بعين المتفحص سبب تكرار الحديث عن بني إسرائيل وأخذت حيزاً ليس بقليل من سورة البقرة، فإذا بي أجهشت بالبكاء وقلت يا رب يا من وسع حلمك على بني إسرائيل فصبرت عليهم على كل نكوصهم وفي كل مرة تنعم عليهم بشيء من الخير يرتدون (أرنا الله جهرة) ويجحدون: أعطنا من الفول والقثاء
كلما أنعم الله عليهم بشيء ارتدوا وطلبوا شيئاً آخر
فقالت يا رب يا من وسع حلمك على بني إسرائيل فلن يضيرك أن تجيبني في أمر أريده
ولا نعلم ما كانت حاجتها ولكن الله أجابها .. تخيل من لحظة فتح الله عليها في قصة بني إسرائيل القصة التي حين نصلها نظن أننا تعبنا وتنتظر تجاوزها لكن هي كيف استشعرتها كيف الله يحلم عليهم يجيبهم وينعم عليهم ويعفو لعلهم يشكرون ثم يعيد فيعودون ثم يعيد فيعودون
فهذا حلم الله الواسع ورحمة الله بهم ورحمة الله وسعت كل شيء فلن تضيق رحمة الله على حاجتها
في صحيح مسلم حديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (...كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ....)[أخرجه مسلم في صحيحه]

**إذن حين تقرأ القرآن اليوم اقرأه وكأنك ممسك بحبل.**

وأنت تقرأ قصة قوم عاد وثمود في القرآن لا تقرأها كأنها مجرد أحداث، لا بل اعرف لماذا الله يخاطبك بتلك القصة ما هو الدرس الذي يجب أن يصل إليك؟

ما هو الدرس الذي سيساعدك بمجرد استعراض سورة الروم أو سورة العنكبوت؟

إذا لم تقرأ في أسباب النزول فاقرأ فيها، ستختلف قراءتك للقرآن تماماً حين تعرف أسباب نزول الآيات وقد لا تمتلك دموعك حين تعرف سبب نزولها وكيف نزلت وكيف نزل التشريع والأحكام.

## المفتاح التاسع ما قبل الأخير: هو التقوى

التقوى هو عمل قلبي يوصلك للهدى، ودليل أن التقوى مفتاحٌ للهداية في قوله تعالى: {الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)} البقرة

فهذا الهدى ليس لأي أحد ولا يعطى لأي أحد وإنما هو هدى للمتقين، ولنرجع لكلمة التقوى بمعناها اللغوي وهو الاتقاء، ما معنى الاتقاء أي أنك حين تخاف من شيء فتتقيه.

قال الشاعر: سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ** فتناولته واتقتنا باليد

فحين سقط النصيف وانكشفت وهي المرأة العربية الحرّة كانت ما فعلته أنها تناولته بيد، وباليد الأخرى خبأت وجهها، كالحركة التي يفعلها المحارب لما يتقي ضربة السيف بدرعه.. هذا هو التقوى

ومن الذي يضرب بالسيف؟ شيطانك.. هواك.. كل ذنب وكل معصية هي ضربة سيف

فكيف تحمي نفسك؟ فقط حرك درع التقوى فارجع إلى تقواك واتق ذلك الشيء حتى لا تأتي ضربة السيف فيه.

يعلم أنه لو لم يضع الدرع سيدخل السيف إلى داخل قلبك.. تعلم لو أنك لم تغمض عينيك على مشهد حرام لدخل السيف إلى قلبك

تعلم لو ذهبت إلى هذا المكان أو الحفلة أنها ستدخل سهام إلى قلبك وتجرح إيمانك.. فقط ضع درع التقوى حرك الدرع وقل: لا.. واجعل الضربة تأتي في الدرع

هذه هي حقيقة التقوى.

## المفتاح العاشر والأخير :خشية الله عز وجل

وخشية الله ليست نتيجة، يقول الله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس 11]

ويقول سبحانه: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ} [الأعلى 10]

ويقول سبحانه: {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر 18]

فالذي ينتفع بهذه الهداية هم الذين يخشون ربهم، والمؤمن يطير إلى ربه بجناحي الخوف والرجاء فكما ترجو الله أن يهديك لابد أيضًا أن تخاف من الله وتخشى عقوبته.

فكلاهما جناحين لا يغلب أحدهما الآخر فلا الخوف يغلب ولا الرجاء يغلب ورأس الطائر أو ذيله المحبة.

هذه الأعمال القلبية يجب أن يتفحصها الإنسان في قلبه: الخشية من الله، المجاهدة والإخلاص والإنابة، وأن تتخلص من كل موانع الهداية وأن تستهدي بالدعاء وبالقرآن وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأخيرًا خاتمة هذا كله أو إن شئت جعلته المفتاح الحادي عشر، وهو موجود في قول الله {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (68) }

النساء

**فلو كان الإنسان يريد أن يُهدى لهذا الصراط المستقيم إذن فليحرك العلم إلى عمل.**

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من المهتدين بهداه وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاه. هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

.